هذا المقال للكاتب والروائي عاموس عوز، وهو أحد المعارضين الأشداء لسياسة شارون، يعطينا فكرة عن جانب من التفكير الإسرائيلي المختلف، ويقدم هنا صورة عن مجريات اتفاق جنيف الشهير، الذي وقعته بعض الشخصيات السياسية الفلسطينية وبعض المثقفين والسياسيين اليساريين الإسرائيليين، في محاولة للوقوف أمام فكرة شارون القائلة بعدم وجود شريك يجلس مع حكومته على طاولة مفاوضات السلام.

الحائط والظهر

عاموس عوز

سافرت للمشاركة في الاجتماع الفلسطيني-الإسرائيلي في الأردن بمزاج متشكك. تصورت أن يحدث ما حدث مرارا من قبل، فربما ننجح هناك في صياغة إعلان مبادئ مشترك بشأن الحاجة إلى إحلال السلام ووقف الإرهاب وإنهاء الاحتلال والقمع والاعتراف المتبادل بالحاجة إلى العيش كجيران في دولتين للشعبين. قمنا بذلك من قبل مرارا في عدة اجتماعات ولقاءات وبيانات وغيرها. منذ عشر سنوات ونحن نقف مرة تلو الأخرى "قيد أنملة" ومن ثم نتدهور إلى هاوية العنف واليأس. اعتقدت أن نقاط الخلاف الساخنة القديمة ستفشلنا مرة أخرى: "حق العودة" أو حل مشكلة اللاجئين؟

"العودة إلى حدود 67"، أو رسم خارطة تأخذ في اعتبارها الحاضر أيضا، وليس الماضي التاريخي فقط؟ اعتراف واضح بحقوق الشعبين، اليهودي والفلسطيني، بالعيش كل في دولته - أم كلام منمق مراوغ حول "التعايش بسلام"؟ موافقة فلسطينية على التوقف عن أي مطالب إضافية في المستقبل - أم إبقاء "ثقوب سود" لتجديد النزاع والعنف؟

في الاتفاقيات السابقة، بما فيها اتفاقية أوسلو، تجنب الطرفان الوقوع في مطب معالجة "القلب النووي" للنزاع: اللاجئين والقدس وإنهاء الصراع والحدود الثابتة. إنما اكتفوا بمد شريط أبيض حول حقول الألغام تلك وأجلوا حلها إلى حين نشوء مستقبل أفضل. أما قمة كامب ديفيد فقد تحطمت عند ملامستها هذه الألغام.

بين الغضب والمزاح:

في الأمسية الأولى التقت المجموعتان لحديث تمهيدي، بعد أيام من قتل العائلات في مطعم "مكسيم" في حيفا وبعد ساعات من قتل الأبرياء في رفح، وبضمنهم الأطفال، يسود الغرفة جو غريب. هنا وهناك يحاول البعض المزاح ربما للتغطية على خليط من الإثارة والريبة والشك والنية الحسنة. الميجر جنرال الاحتياط شاؤول أريئيلي، الذي كان قائدا لقوات الجيش الإسرائيلي في غزة، يجلس بجوار سمير الرنتيسي، ابن عم زعيم حماس، عبد العزيز الرنتيسي. ابن المرحوم فيصل الحسيني يجلس قبالة العميد شلومو بروم، الذي كان نائب قائد وحدة التخطيط الاستراتيجي في الجيش الإسرائيلي، إلى جانب ديف قمحي، المدير العام في وزارة الخارجية سابقا، يجلس قدورة فارس، من قيادات التنظيم.

من الشباك، وراء البحر الميت، تطل أنوار "كاليا"، التي ستنتقل بموجب وثيقة جنيف إلى الجانب الفلسطيني، وكذلك قبة الأضواء الواسعة لمعاليه أدوميم، والتي ستصبح بموجب الوثيقة نفسها، جزءا لا يتجزأ من دولة إسرائيل.

إلى ما بعد منتصف الليل، تحدثنا وتجادلنا (بلغة عبرية فصيحة) مع هشام عبد الرزاق، الذي أمضى [illegible] سنة - نصف عمره - في السجون الإسرائيلية. الآن يعمل لديهم كوزير لشؤون السجناء. هناك شيء من الحميمية في هذه اللقاءات. الإسرائيليون والفلسطينيون أعداء، لكنهم ليسوا غرباء. المشرف السويسري على اللقاء، صدم بالتأكيد لرؤية التحولات المتسارعة من الغضب إلى الغمز بالأكواع، ومن الكلام اللاسع المؤلم إلى تدفق أمواج الضحك المشتركة (عبارات بريئة من الجانب الإسرائيلي مثل "أريد أن أوقف اللحظة" أو من الجانب الفلسطيني مثل "على هذا البند سأقوم بتفجير الجلسة" تثير ضحكا عصبيا، لكنه مريح). وعندما يحين الوقت، سنجلس مع السوريين على طرف طاولة المباحثات، ونحن متزمتون ووجوهنا جامدة. الفلسطينيون أيضا، كالمصريين، يلتقون بالسعوديين دائما في جو رسمي من الأدب والانضباط. أما هنا، في فندق على شاطئ البحر الميت (يتجول حاييم أورون - جومس - وياسر عبد ربه منتعلين الصنادل والبنطلونات القصيرة. يوسي بيلين ليس كذلك)، هنا نحن نبدو بعض الشيء كزوجين قديمين في غرفة الانتظار التابعة لكاتب الطلاق، هم ونحن باستطاعتنا أن نتمازح ونصرخ ونسخر، ونتبادل التهم وندفع متقاطعين حيث بعضنا بعضا، ونضع أيدينا على الأكتاف والخواصر، ونرمي بعضنا بأقوال غاضبة، وتدمع عيوننا مرة أو مرتين. لأننا نحن وهم عشنا [illegible] سنة حميمية. حقا، حميمية عنيفة ومرة ومشوهة، لكنها حميمية. لأننا هم ونحن، لا الأردنيون ولا المصريون، وبالطبع ليس السويسريون، نعرف تماما كيف يبدو الحاجز، وكيف يدوي صوت السيارة المفخخة، وما سيقوله هنا غدا بيني ألون والشيخ ياسين. لأننا منذ حرب الأيام الستة نلازم الفلسطينيين ملازمة السجان لسجينه المكبل بالأصفاد. السجان الذي يكبل يده بيد سجينه لساعة أو ساعتين هو أمر عادي. لكن السجان الذي يكبل نفسه إلى سجينه طوال [illegible] سنة، فهو أيضا ليس حرا. الاحتلال سلبنا حريتنا أيضا. ليس الهدف من هذا الاجتماع هو إعلان بداية شهر عسل بين الشعوب، بل العكس، لكي تختزل الحميمية المشوهة تلك في نهاية المطاف إلى صياغة وثيقة طلاق منصفة. طلاق مؤلم ومعقد لكنه يحل الأصفاد. هم يعيشون في بيتهم ونحن في بيتنا. ستتحول البلاد لا إلى سجن ولا إلى سرير زوجية، إنما إلى بيت مشترك لعائلتين. علاقة الأصفاد التي نشأت بين السجان وسجينه ستتحول إلى علاقة بين جيران يستعملون سلما مشتركا يؤدي إلى بيوتهم.

حماقتكم وحماقتنا:

نبيل قسيس، رئيس جامعة بير زيت سابقا، ووزير التخطيط في السلطة الفلسطينية، رجل خلوق ومتكتم وحزين، هو الوحيد من بين المجموعة الفلسطينية الذي لا يسارع إلى تبادل النكات واللسعات مع الإسرائيليين. قال لي ونحن على مقربة من المراحيض: "حاول من فضلك أن تفهم ذلك، التنازل عن حق العودة للمدن والقرى التي ضاعت منا في سنة 48، هو بالنسبة لي تغيير لهويتي". وأنا حقا "أحاول أن أفهم ذلك". معنى هذه الكلمات أن هوية قسيس مشروطة بمحو هويتي. فيما بعد وفي قاعة الجلسات، يرفع قسيس صوته غاضبا، ويطالب شبه غاضب بأن تظهر كلمة "العودة" في صيغة الاتفاقية. مقابل ذلك يوافق هو وزملاؤه على أن ترفق بالكلمة بعض التحفظات. أبراهام بورغ أيضا يرفع صوته وهو أيضا غاضب: لنرى قسيس يتنازل عن جزء من هويته القومية كما أتنازل أنا أبراهام بورغ عن جزء من معتقداتي الدينية، عندما أبدي استعدادا لوضع الأقصى تحت السيادة الفلسطينية. أنا أبدي ملاحظة من جانبي وأقول إن "العودة" بنظري هي شيفرة لتصفية إسرائيل وإقامة دولتين فلسطينيتين على أنقاضها. هناك عودة - ليس هناك اتفاق. زد على ذلك، سأكون شريكا فقط في وثيقة تتضمن اعترافا بحق الشعب اليهودي القومي بإقامة دولته. تلك كانت واحدة من لحظات التأزم أثناء الاجتماع. في نهاية الأمر، لم تظهر تعابير "حق العودة" ولا "العودة" في الوثيقة. تتحدث الوثيقة عن حل شامل لمجمل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، خارج حدود دولة إسرائيل. إضافة لذلك، تعترف الوثيقة التي وقعنا عليها بشكل واضح بحق الشعب اليهودي بالحصول على دولته، إلى جانب دولة الشعب الفلسطيني. وكما هو معلوم لدي، لم نسمع أبدا تعبير "الشعب اليهودي" من أي شخصية فلسطينية تمثيلية. وبالتأكيد لم نسمع أي تعبير عن اعتراف بالحقوق القومية للشعب اليهودي بإقامة دولة مستقلة في البلاد.

في الثانية من بعد منتصف الليل، وبعد فنجان القهوة الـ [illegible]، في أثناء الاستراحة ما بين جدل وصياغة، وما بين تباحث ومناورة، قلت لعبد ربه ولبعض رفاقه: سيلزمنا يوما ما إقامة نصب تذكاري مشترك للحماقة الفظيعة: حماقتكم وحماقتنا. ألم يكن بمقدوركم أن تصبحوا شعبا حرا قبل [illegible] سنة، وقبل خمسة أو ستة حروب، وقبل العديد من القتلى، قتلاكم وقتلانا - لو وقعتم على وثيقة مشابهة سنة [illegible]؟ أما نحن الإسرائيليين، فكان بمقدورنا أن نحيا آمنين بسلام، لو عرضنا على الفلسطينيين سنة 67 ما تقترحه هذه الوثيقة الآن، ولو لم يتملكنا ثمل المنتصرين المغرور بعد احتلالات حرب الأيام الستة.

عصا كبيرة ورأس صغير:

كان طبيعيا أن نفترض أن يهب اليمين المتطرف ضد هذه الوثيقة غاضبا مزمجرا، لا بسبب مضمونها، إنما لوجودها بحد ذاته: من صمم كامل هويته وكل أيامه بالاعتماد على طريقة العيش والظهر إلى الحائط فلا عجب في أن يفقد توازنه، عندما يزيلون الحائط فجأة. من رتب العالم دائما بالاعتماد على الاعتقاد الساذج بأن ليس هناك، ولن يكون هناك من نتحدث معه، وليس هناك ولن يكون هناك ما نتحدث عنه، فهم لن يوافقوا أبدا. البحر هو نفس البحر والعرب نفس العرب. وطبيعي أن من يعيش في "مقطرة نفسية" كهذه، سيجن جنونه إذا ما أريناه أن هناك طريقة أخرى، ثمة من نتحدث معه، وثمة ما نتحدث عنه، وهناك طريقة للحديث، وإن كان ثمنها لاسعا للطرفين.

لكن بدون تقسيم الأرض سيتحول الشعب اليهودي خلال سنوات قليلة إلى أقلية في البلاد الممتدة من النهر إلى البحر. من المحبذ فهم هذه الحقيقة. إنها تبقي أمامنا ثلاث إمكانيات: إما أن نحيا كأقلية في دولة عربية، وإما أن نفرض حكم الأقلية اليهودية بالقوة والقمع على الغالبية غير اليهودية، وبهذا نتحول إلى دولة منبوذة وقبيحة، وإما أن نتنازل بطرق سلمية عن تحكمنا بمناطق فلسطينية.

إذا اخترنا الطريق غير الانتحاري - التنازل عن حكم شعب آخر - فسيتاح لنا الخيار: أن ننسحب بطريقة أحادية الجانب، بدون اتفاق (وحينها نستطيع الاحتفاظ ببعض الأراضي حول الضفة الغربية، لكننا لن نضع حدا للعنف والإرهاب)، أو نقتسم البلاد بطريقة سلمية، بموجب اتفاقية شاملة، مع تراجع الفلسطينيين عن أية مطالب إضافية في المستقبل. تلك، وتلك فقط، هي الإمكانيات الواردة أمامنا. هذه هي عمليا "خارطة الطريق" القومية التي على إسرائيل أن تحدد مسارها ضمن حدودها. وماذا يقترح علينا اليمين المتطرف (عدا ذم الشخصيات المبادرة للسلام)؟ إنه يقترح علينا نفس الاقتراح الصدئ المتآكل الذي قدمه لنا قبل عشر سنوات وقبل [illegible] سنة وقبل [illegible] سنة وحتى قبل [illegible] سنة: هيا بنا نأخذ مرة أخرى عصا أكبر ونضربهم مرة أخرى وبقوة أكبر إلى أن يفعلوا ما نمليه عليهم. لم يتغير شيء، ولم ينفع شيء، لدى اليمين المتطرف منذ الخمسينيات، عندما اعتاد مندوبو اليمين في الكنيست اقتراحه كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع كعلاج للمقاطعة العربية أو كرد على استنزاف يقع على الحدود أن تبادر إسرائيل إلى حرب. هناك ما يحبط في هذه الزيجة الثابتة، عصا كبيرة ورأس صغير. لم يتغير أي شيء في التقاليد الفكرية لسياسيي الخونة المتطفلين بكلامهم لغسل كل من لا يفكر مثلهم بسيل من العار والقذف والتحريض المتفلت: من هم حقا هؤلاء الذين يقيمون الدنيا ويقعدونها بسبب "المس بالمكانة السياسية للحكومة المنتخبة والشرعية"؟ هؤلاء هم نفس الأشخاص الذين سخروا أيما سخرية من أي شرعية لأي حكومة منتخبة في إسرائيل منذ أيام سبسطية وحتى الآن، وعبروا عن سخريتهم تلك ليس عبر المقالات واللقاءات، إنما عبر إقامة المستوطنات غير الشرعية وبالعلو على التلال وبمواجهات عنيفة مع الشرطة والجيش وبتحريض واضح (وناجح) لقتل رئيس حكومة وبتمرد عنيف ضد حكومة بيغن عند إخلاء "ياميت"، وحتى بالدوس على حكومة شارون بأرجل بلطجية التلال.

منظر آخر من الشباك:

ليس هناك أي معنى للهستيريا التي يثيرها معارضو الوثيقة: المبادرون يعرفون تماما أن حكومة شارون هي حكومة إسرائيل القانونية وأن مبادرتهم ليست سوى مناورة. الهدف من المناورة هو فقط فتح نافذة للرأي العام الفلسطيني والإسرائيلي، نافذة تطل على مشهد آخر. لا سيارات مفخخة بعد، أو عمليات استشهادية واحتلال وقمع وسلب ولا حرب أبدية وكراهية أبدية. إنما حل مفصل وحذر لا يتخطى أيا من المسائل الأساسية، ومبدؤه: نحن ننهي الاحتلال وينهي الفلسطينيون حربهم ضد إسرائيل. نحن نتخلى عن تحقيق حلم أرض إسرائيل الكبرى، وهم يتخلون عن تحقيق حلم فلسطين الكاملة. نحن نتنازل عن أجزاء محببة إلى قلوبنا في إسرائيل، وكذلك يفعلون هم. مشكلة لاجئي 48، وهي جوهر مشكلة أمننا القومي تجد حلا كاملا ومطلقا خارج حدود إسرائيل وبمساعدة عالمية واسعة. إذا تحققت المبادرة، لن يبقى في الشرق الأوسط مخيم لاجئين واحد وسيتم إلغاء وكالة الغوث للاجئين، وسيتم إلغاء مكانة ما يسمى "لاجئ فلسطيني". وفي الوثيقة يلتزم الطرف الفلسطيني بأن لا يقدم مطالب إضافية في المستقبل، لا في قضية اللاجئين أو الحدود ولا في أي قضية أخرى.

ترسم الحدود الثابتة والواضحة والمتفق عليها بين الدولتين وتقام بينهما علاقات دبلوماسية. بعد نهاية الاجتماع، وبعد التوقيع على وثيقة مبادرة جنيف، قال لنا أحد الفلسطينيين: إننا ربما نرى في الأفق الآن نهاية حرب المئة سنة بين اليهود والفلسطينيين، لكن سيحتل مكانها الآن نضال بين مؤيدي السلام والتسوية في الشعبين، وبين ائتلاف متعصب من المتطرفين على الجانبين. هذا النضال يصل الآن إلى أوجه. لقد بدأ به شارون قبل إعلان مبادرة جنيف، وهب لتأييده زعماء الجهاد وحماس، مستعملين نفس نعوته.

ماذا ينقص وثيقة مبادرة جنيف؟ ينقصها أسنان. ليست سوى [illegible] ورقة. لكن لو قبلها الرأي العام في الشعبين، فها هي تطوي في داخلها جميع برامج العمل الشاق المترتب على صنع السلام، تقريبا حتى آخر التفاصيل. إن أراد شارون وعرفات التمسك بهذه الوثيقة كقاعدة للاتفاق، لن يتجادل معهما كاتبو صيغة الوثيقة، على حقوق الملكية الفكرية. إذا نهض شارون وأتى ببرنامج أفضل وأكثر تقدما وأكثر قومية، فهل سيقبله الطرف الآخر؟ أهلا وسهلا. ليأتي به وهو مبارك، على الرغم من أن شارون، كما تعرفون شخصية ثقيلة الوزن، فيا أصدقائي، سنحمله على الأكف.

عن: يديعوت أحرونوت [illegible] تشرين الثاني 2003

رئيس الوكالة الأميركية للتنمية الدولية يقول:

العراقيون يدركون الآن مزايا الدعم الحكومي

قال مدير الوكالة الأميركية للتنمية الدولية أندرو ناتسيوس إن الوكالة تقوم بمساعدة العراقيين الذين اعتادوا الكبت الوحشي على يد حكومتهم البائدة، من خلال دعمها لتطوير وعمل مجالس محلية تمثيلية في العراق على أن يتعلموا أن من شأن الحكومة مساعدتهم. وقال ناتسيوس في حديث أدلى به يوم 13 تشرين الثاني/نوفمبر الماضي في المعهد الجمهوري الدولي، إن شركة آرتي آي الدولية، وهي المقاول المحلي للوكالة في العراق، وسلطة الائتلاف المؤقتة يضمنان أن تكون النساء والأقليات العرقية والدينية ممثلة في المجالس، وأن أعضاء المجلس المعينين يخدمون على أساس مؤقت، حتى يتم إنشاء نظام لإجراء الانتخابات في البلد. وقال إن الوكالة الأميركية للتنمية الدولية تقدم التدريب لأعضاء المجلس كي يتعلموا كيفية التواصل مع مجتمعاتهم، ويتفهموا هموم المواطن ومشاغله. وقال ناتسيوس إن المساعدة على خلق مجتمع مدني ديمقراطي، وتشجيع الاقتصاد، وتحسين توصيل الخدمات الأساسية، وضمان الأمن الغذائي هي الأهداف الرئيسة للوكالة الأميركية للتنمية الدولية بالنسبة لعراق ما بعد صدام. وقال المسؤول الأميركي، في سياق ملاحظته حول مجال عمل الوكالة في العراق، إن هذا العمل هو أكبر مجهود إعادة بناء تقوم به الولايات المتحدة منذ خطة مارشال بعد الحرب العالمية الثانية. وقال ناتسيوس إن الوكالة الأميركية للتنمية الدولية تعمل مع مجموعة من 45 مقاولا رئيسا ومئات من المقاولين الفرعيين، الكثير منهم من المواطنين المحليين، لإنجاز إعادة بناء العراق. وطبقا لناتسيوس، فقد ساعد المقاولون بالفعل على إعادة الخدمة الكهربائية إلى المستوى الذي كانت عليه قبل إطاحة صدام حسين من السلطة. وأفاد أنه سيتم توفير المزيد من الطاقة الكهربائية بحلول منتصف 2004، وذلك قبل فترة الطلب القصوى مباشرة خلال أشهر الصيف الأكثر سخونة. وأضاف أنه ستتم إعادة خدمات المياه والمجاري والصحة. وقال ناتسيوس إن أحد أهداف إعادة البناء المبكرة جدا هو تحسين وتوسيع نظام توزيع الغذاء في العراق. وقد ساعدت الوكالة الأميركية للتنمية الدولية، من خلال توحيد مجهوداتها مع برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة، جميع العراقيين على التمكن من الحصول على الطعام. وقال إن صدام حسين استغل استخدام نظام الحصص الغذائية، للتمييز ضد جماعات معينة. وأضاف ناتسيوس أنه في عهد صدام حسين، الذي لم يحتفظ بمخزون من علاج إعادة الترطيب الشفهي للأطفال، بات معدل الوفيات بين الأطفال في العراق أعلى من الهند. وقال مدير الوكالة إن الملايين من الأطفال قد تلقوا أملاح إعادة الترطيب، إضافة إلى التطعيم في عهد ما بعد صدام. وذكر ناتسيوس أن الجهود جارية لإصلاح منطقة الأهوار العراقية التي جففها صدام حسين، خلال المحاولات التي قام بها للتخلص من السكان الذين عارضوا نظامه. وسيتمكن الناس الذين كانوا يقتاتون تقليديا على السمك والجاموس من العودة إلى الأهوار بعد إصلاحها. كما ذكر أن الجهود جارية أيضا لإعادة الأراضي الزراعية العراقية إلى مستوى الإنتاج. إذ إن العراق يتمتع بتربة جيدة ومناخ جيد، كما أنه تتوفر لديه إمكانية نظام ري جيد يغذيه نهرا دجلة والفرات. أما على صعيد التربية والتعليم، فقد قال ناتسيوس إن الوكالة الأميركية للتنمية الدولية مولت إصلاح أكثر من 1500 مدرسة، وشراء كتب جديدة وأدوات مدرسية للطلبة والمدرسين. كما ساعدت الوكالة أيضا على بناء شراكات جديدة بين الجامعات الأميركية والعراقية وتتوقع المساعدة على قيام المزيد في المستقبل. وقال ناتسيوس إن وكالة المعونة تساعد العراقيين على تطوير منظمات لحقوق الإنسان، وهي جماعات يمكنها مراقبة تصرفات الحكومة بعد مغادرة الشركاء في التحالف. كما يجري أيضا تشكيل جماعات غير حكومية لمساعدة الأرامل اللاتي قتل النظام البعثي أزواجهن. وفي سياق وصفه للطريقة التي تتبعها الوكالة الأميركية للتنمية الدولية في مساعدة الشعب العراقي على التكيف مع حكومة من نوع جديد، تسمح بالتعبير عن الآراء الفردية ونقاشها في مأمن، قال ناتسيوس إن تطبيق الديمقراطية عملية تدريجية ستستغرق أكثر من "بضعة أسابيع". وأضاف أن أفضل سبيل لمساعدة بلد ما على تبني الديمقراطية، ولا سيما بعد الحرب، هو أن يبدأ على المستوى المحلي. وقال ناتسيوس إن العديد من الناس في العراق لا يزالون في حالة من الذهول بعد سنوات من التجارب المؤلمة، وهم بحاجة إلى وقت حتى يطمئنوا إلى أن مجالسهم الحكومية القومية والمحلية تمثيلية وتخضع لمحاسبة الشعب. وقال ناتسيوس، عندما أعطى مثالا حول القرارات المطروحة أمام المجلس القومي في البلاد، إنه يتم النظر في تأسيس محكمة جرائم حرب للتحقيق مع المشتبه في كونهم مسؤولين عن مقتل ما بين 300 و400 ألف نسمة وتقديمهم للمحاكمة. وقد تحققت قوات التحالف من رفات هؤلاء الضحايا المطمورة في مقابر جماعية.

يذكر أن الناطق باسم وزارة الخارجية الأميركية، آدم إريلي، قال في وقت سابق إن الولايات المتحدة ترحب بتقرير الأمم المتحدة "التنمية البشرية العربية"، وأنها ستقوم بدراسة النتائج التي خلص إليها لاستعمالها في مبادرة الشراكة الأميركية الشرق أوسطية. وقد جاء تصريح إريلي في مؤتمر وزارة الخارجية الصحفي اليومي في العشرين من تشرين الأول الماضي، في اليوم الذي صدر فيه التقرير، الذي طلب إعداده برنامج تنمية الأمم المتحدة، في عمان. وقد وصف الناطق التقرير السابق الذي صدر في عام 2002 بأنه كان "وثيقة رائدة، حددت العجز في (مجالات) الحرية والمعرفة وتمكين النساء من الكفاية". وقال إريلي إن تقرير عام 2002 لعب دورا رئيسا في صياغة مبادرة الشراكة الأميركية - الشرق أوسطية "بتحديده الاحتياجات وابتكاره الهيكليات والأفكار والسبل لمعالجتها". والمعروف أن مبادرة الشراكة تسعى إلى تشجيع الإصلاحات السياسية والاقتصادية والتعليمية، وإلى تمكين النساء من الكفاية في المنطقة. وتجدر الإشارة إلى أن تقرير عام 2003 تضمن انتقادات للولايات المتحدة وغيرها من الدول الأوروبية لوضعها صعوبات كثيرة على العرب تعوق سفرهم إلى أميركا والدول الغربية الأخرى، والإقامة والدراسة فيها، بسبب هاجس الإرهاب. وقال إريلي إن الولايات المتحدة تعكف على العمل "باجتهاد كبير" في محاولة لإقامة توازن بين حاجتها إلى حدود آمنة ورغبتها في حصول مواطنين من الدول العربية على التدريب في الجامعات والمؤسسات الأميركية. وأضاف أن حكومة الرئيس بوش تريد رؤية "عدد أكبر من الطلبة الذين يأتون إلى هنا، ويعملون هنا أيضا، ويدرسون هنا، ثم يعودون إلى وطنهم الأصلي".

وكيل وزير الدفاع الأميركي للشؤون السياسية:

استراتيجيتنا هي تعطيل نشاط الإرهابيين وتدمير بنيتهم الأساسية

حدد دوغلاس فايث، وكيل وزارة الدفاع الأميركي للشؤون السياسية، العوامل الرئيسة للحرب الدولية ضد الإرهاب، في كلمة ألقاها أمام اجتماع عقده مجلس العلاقات الخارجية بالعاصمة الأميركية واشنطن، يوم 13 تشرين الثاني/نوفمبر الحالي. وركز فايث معظم كلمته على ما يجري من أحداث في العراق وتتناقلها وسائل الإعلام، فقال: "رغم أن عمليات القتال الرئيسة التي أسقطت نظام صدام حسين قد انتهت يوم الأول من أيار/مايو، إلا أن الحرب ما زالت مستمرة لتقرير مستقبل العراق". وقال فايث "إن هدفنا الاستراتيجي في العراق هو أن نعيد العراق للشعب العراقي، وقد بدأت انطلاقته الثابتة على طريق الحرية والأمن والرخاء". وأعرب فايث عن إدراكه بأن تحقيق هذا الهدف لن يكون سهلا، بسبب وجود "أعداء لهدفنا الاستراتيجي"، بمن فيهم الموالون للنظام السابق، والمقاتلون الأجانب، والجماعات الإرهابية، وعشرات الآلاف من المجرمين الذين أخرجهم صدام حسين من السجون في الأشهر السابقة على الحرب". وفيما تأخذ قوات التحالف زمام المبادرة "على المستوى التخطيطي، لاجتثاث جذور العدو، فإن الحل الاستراتيجي لمشكلة الأمن في العراق يتمثل في تمكين العراقيين من تحقيق الأمن لأنفسهم". وقال فايث إن الجزء الأول من استراتيجية الرئيس للحرب ضد الإرهاب، المكونة من ثلاثة أجزاء، هي "تعطيل نشاط الإرهابيين ثم

الجزء الثاني من استراتيجية الرئيس حسبما قال فايث فإنها تتمثل في "معركة الأفكار" التي "تستهدف عمليات تجنيد الإرهابيين وتلقينهم التعاليم". وقال فايث إن نوعية التطرف الذي يغذي الإرهاب يعد ظاهرة سياسية تحركها أيديولوجيا ما، والأيديولوجيات كما نعرف يمكن هزيمتها"، مثلما حدث بالنسبة للشيوعية السوفييتية. وأشار فايث إلى أن العدو الرئيس للقاعدة ظل في واقع الأمر، ولسنوات عديدة، هو الحكومة السعودية، "وهناك صراع كبير يدور داخل العالم الإسلامي، وينبغي ألا ينظر إلى الحرب ضد الإرهاب على أنها حرب بين الولايات المتحدة والإسلام. إنها إلى حد كبير حرب تدور داخل نطاق الإسلام، حيث تتحالف الولايات المتحدة مع معارضي وجهة النظر المتطرفة هذه للإسلام". وكرر وكيل وزارة الدفاع ما قاله الرئيس بوش أمام مؤسسة الصندوق الوطني للديمقراطية في مطلع الشهر الحالي، فذكر "أنه ينبغي أن يكون واضحا للجميع أن أركان الإسلام، والعقيدة التي يتبعها خمس تعداد البشرية، تنسجم مع قواعد الديمقراطية". والحقيقة "أنه منذ (تحرير) العراق فإن الحديث عن الإصلاح والديمقراطية أصبح مكثفا بدرجة أكبر في العالم العربي". أما الجزء الثالث والأخير من مكونات استراتيجية الولايات المتحدة للحرب ضد الإرهاب فيتمثل في "حماية أمن الوطن"، حسبما قال فايث. ومن أجل تحقيق هذا الهدف أنشئت وزارة الأمن الوطني، كما أنشأت وزارة الدفاع قيادة شمالية جديدة، يتولى فيها للمرة الأولى قائد عسكري مقاتل الإشراف على جميع أراضي الولايات المتحدة القارية، وتكون ضمن المناطق التي تقع ضمن مسؤوليته. ثم خلص فايث إلى القول إن صواريخ الدفاع الاستراتيجية تمثل أيضا أحد مكونات الجزء الثالث من استراتيجية الولايات المتحدة في الحرب ضد الإرهاب.

في سامراء

اللصوص يملأون الفراغ بعد انسحاب الجنود

شيرزاد فرامرزي
ترجمة: عمران السعيدي

عندما انسحب الجيش الأميركي، وبشكل غير متوقع، من مدينة سامراء التي تضم الكثير من الموالين للنظام المخلوع وعصابات تحمل الأسلحة الخفيفة ومدافع الهاون والقنابل اليدوية التي تستهدف القواعد الأميركية المهجورة، خلفوا الدفاعات العراقية المدنية في حالة مهزوزة، وهي الآن تطالب برجوع الأميركان إلى المواقع التي تركوها. ويقول الكابتن إحسان عزيز في حديثه إلى الأسوشيتدبريس، بعد انسحاب القوات الأميركية، "لا يمكننا مواجهة الموقف بمفردنا".

إن إعادة انتشار القوات الأميركية في مواقع جديدة تبعد قرابة ستة كيلومترات شمال سامراء، ربما يكون بمثابة إنذار لما قد يحدث في العراق في حالة تسليم الأمن والسلطات إلى العراقيين في داخل المدن على الرغم من مخاوف بعض المواطنين من ضعف قدرة العراقيين على مواجهة المتمردين. ومن الجدير بالذكر أن هناك قرارا جديدا اتخذ قبل أسابيع يفيد بأن قوات التحالف بقيادة أميركا ستسلم السلطة إلى حكومة عراقية، في نهاية حزيران القادم. وتكون تلك الحكومة مسؤولة عن الأمن برغم بقاء القوات الأميركية في العراق مدة أطول. أما بالنسبة للبنتاغون، فيقول بأنه قد أحرز تقدما كبيرا في تسليم المسؤوليات الأمنية إلى العراقيين. فهناك أكثر من عشرة آلاف ضابط أمن عراقي، تتم إضافتهم إلى رجال الأمن كل أسبوع، وذلك منذ الشهر العاشر، رافعة عدد قوات الأمن العراقية إلى 131 ألف شخص حتى شهر تشرين الثاني، وهو أكثر من عدد القوات الأميركية في العراق. إن أوان إعادة السيطرة على المدن يعتمد على الوضع الأمني المحلي. ويقول الجنرال چارلس سوانك، قائد الفرقة المدرعة، في ذلك، بأنه سوف ينسحب مع قواته من مركز مدينة الرمادي، والتي تعد عاصمة التمرد، وذلك في بداية العام الجديد. ويضيف أيضا: "في حالة عدم قدرة العراقيين على قيادة الموقف، سنبقى على اتصالنا المباشر بهم، ونكون جاهزين للتقدم، وإسنادهم". أما نحن، فسنبقى بانتظار اكتشاف مدى إمكانية قوات الأمن العراقية على إثبات وجودها، ومواجهة التحديات.

ويقول ضابط الدفاع المدني عزيز، بعد الأحداث الأخيرة في سامراء، أن "اللصوص والفدائيين وبعض قوات جيش صدام المنحل ستعود". ويؤكد عزيز أن العراقيين، من غير الأميركان، سيصبحون معرضين لهجمات المتمردين. أما الملازم الأول سكوت أكرلي (24 سنة)، فيؤيد ما قاله عزيز بأن الجيش الأميركي لن يغادر سامراء قائلا: "نحن موجودون هنا كل يوم". أما الكابتن ديفيد بوليزوتي، قائد الفرقة 66، فيقول أن القوات الأميركية سوف تنسحب إلى خارج المدينة، لتسمح للعراقيين بقيادة وتدبير شؤونهم. ويضيف: "لن نغادر سامراء، إننا موجودون فيها كل يوم". أما موفق حميد، وهو ضابط شرطة في المدينة، فقد خمن بأن انسحاب الأميركان جاء بسبب الضغط الذي مارسه رجال الدين وشيوخ العشائر في المدينة. وقال إن الشرطة لم يكن لديها علم مسبق بالانسحاب. لقد غادر الجنود يوم السبت، ووصلت جيوش من اللصوص، في سيارات النقل الصغيرة (البيك أب)، ليجردوا القواعد العسكرية من أي شيء تقع أيديهم عليه، حتى الطابوق والزجاج قلعوه ونقلوه. وقد أطلق المتمردون النار من الرشاشات ومدافع الهاون والقنابل اليدوية على قاعدة سلمت إلى شرطة الدفاع المدني العراقية، التي دربتها القوات الأميركية مؤخرا.

وقد رجعت القوات الأميركية، في أثناء الهجوم، وطاردت اللصوص وجرحت بعضهم، وألقت القبض على عشرة منهم، وكبلت أيديهم وتركوا واقفين مدة من الزمن باتجاه الحائط. وكان أكثرهم من كبار السن الذين يرتدون (الدشاديش) العربية التقليدية. ولم يصب أي عراقي أو أي جندي في أثناء المواجهة، وفق ما أكد الكابتن بوليزوتي. أما القائد أكرلي، فقال بأن اللصوص و"الإرهابيين" قد سرقوا بعض حاويات الطعام، وعددا من المعدات الأخرى التابعة لها، بضمنها مكيفات هواء. ووجد الجنود بعض البضائع المسروقة مع بعض الأسلحة في منزل مجاور. ثم قامت القوات بـ"استعراض للقوة" عبر دوريتين معززتين بالدبابات. كما هدمت جزءا من المبنى الذي وجدت فيه البضائع المسروقة. وفي ذلك قال أكرلي: "نريد إرسال رسالة واضحة بأنكم إذا أردتم الهجوم على الأميركان، فإننا سنعود ثانية للقتال". أسوشيتدبريس 18 نوفمبر 2003